العلامــة الدكتور مصطفى جواد عاش ومات في محراب اللغة العربية

اوميد كوبرلو

مصطفى جواد واحد من اولئك المثقفين الاصلاء. انه من عمالقة اللغة العربية البارزين في العراق خدموا اللغة العربية وأسسوا قواعدها. فالمرحوم مصطفى جواد كان ومازال رمزا تركمانيا خالداً خدم العراق وشعبه طوال حياته فكان معلما ومربيا ورائدا وأديبا وفنانا وفيلسوفا وعبقرياً، وكان رجلا بكل معنى الكلمة وقال كلمته المشهورة "جئت لأعلم العرب لغتهم" فرحمه الله كان موضع فخرنا واعتزازنا.

عرف العراقيون الذين عاصروا الفقيد مصطفى جواد رحمه الله من خلال برنامجه الإذاعي المشهور (قل ولا تقل). ذلك البرنامج اللغوي الشائق والذي كان يتابعه الصغار والكبار. ذلك البرنامج الذي كان فيه المرحوم يبسط اللغة العربية للمستمع العام وللمختص اللغوي وبحرفة الكتابة في آن واحد. فكان من أبرز أعلام اللغة العربية في القرن العشرين. وكان عضوا نشيطا في المجاميع اللغوية والمجالس الثقافية ومحققا لغويا ومؤرخا ثقة في نتاجاته ودراساته في شتى اختصاصات اللغة العربية وتاريخها. وكما كان من رافعي مشاعل النهضة الأدبية وموسوعة معارف في اللغة والبلاغة.

ولد المرحوم مصطفى جواد عام ١٩٠٤ من أبوين تركمانيين في محلة شعبية في الجانب الشرقي من بغداد. وتنقل في طفولته بين بغداد وقضاء الخالص التابع لمحافظة ديالى. وتعلم في الكتاتيب ومن بعد في المدارس قارئا القرآن الكريم وحافظا له. ودرس في المدرسة الجعفرية ومدرسة باب الشيخ بعد دخول الإنكليز العراق محتلين. وبعد تخرجه في دار المعلمين عام ١٩٢٤ عين معلما في مدرسة الناصرية ثم البصرة وبعدها في مدرسة الكاظمية ببغداد. وبعدها سافر إلى فرنسا لإكمال دراساته العليا هناك والعودة عام ١٩٣٩ بعد نيل شهادة الدكتوراه مدرسا في معهده الذي تخرج فيه وساهم في التدريس فيه وأيضا في كلية التربية التي ورثت المعهد بعد تأسيس جامعة بغداد. وفي عام ١٩٦٢ أنتدب للتدريس في معهد الدراسات الإسلامية العليا وعين عميداً للمعهد المذكور بعد عام. وواصل النشر والكتابة والبحث في تلك السنوات برغم اشتداد آلام مرض القلب عنده والذي طال به. وتوفي في بغداد التي ولد فيها تاركا خلفه كنزا ثمينا من آثاره ومؤلفاته المختلفة في شتى ميادين المعرفة. وبلغت مجموعها ٤٦ أثراً، نصفها مطبوع ونصفها الآخر مازال مخطوطا. وفضلا على ذلك فكان للمرحوم العديد من المؤلفات المشتركة ومقالات ودراسات منشورة لم تجمع بعد. وإضافة لكونه من عباقرة اللغة العربية وموسوعة معارف في البلاغة والسير والأخبار والآثار، كان رحمه الله مؤرخا معروفا وله مصادر تاريخية موثوقة يرجع إليها الباحثون والمهتمون في شؤون التاريخ. فكانت حياته الثقافية حافلة بالإبداعات في البحث والتنقيب والتخصص في اللغة وتاريخها فألف وحقق ما يثريها ويعمق من معرفتها والتمعن بها، باذلاً جهوده في الإحاطة بها وتدريسها لأكثر من خمس وأربعين سنة.

من كتب الأستاذ العلامة المرحوم مصطفى جواد والتي أعادت دار المدى بدمشق نشرها كتاب (الضائع في معجم الأدباء). وبتقديم تلميذه الوفي له المرحوم الدكتور عناد غزوان. حيث كتب الدكتور بحق المرحوم مصطفى جواد قائلا "يقف مصطفى جواد علماً بارزاً من أعلام النهضة العربية في ثقافتنا وحضارتنا وفكرنا وتاريخنا الإنساني. فقد كان- رحمه الله- عاشقا طبيعيا للحقيقة، مخلصا لها، مترصدا إخلاصه فيها، عائما بها ولذاتها. تلك الحقيقة هي حبه العميق للغة العربية لغة الحضارة والفكر الإنسانيين. كان موسوعة معارف، في النحو والخطط والبلدان والآثار، (أعانه على ذلك حافظة قوية وذاكرة حادة، ومتابعة دائمة، حتى غدا في ذلك مرجعا للسائلين والمستفتين، فنهض بما لا ينهض به العصبة أولو القوة. فكان أمة كاملة في رجل. وعالما في عالم، ومدرسة متكاملة قائمة بنفسها). وخدم اللغة العربية أكثر من لغة أمه التركمانية وقضى عمره في كتابة قواعدها الصحيحة وكتابة التاريخ العراقي والعربي. حيث ألف كتباً ومصادر مهمة وموثوق بها يستند الباحثون والكتاب وذوي الفكر إليها. فكان عالماً، عبقرياً، لغوياً، كاتباً، شاعراً ومؤرخاً عظيماً رفع رؤوسنا عالياً بين أشقائنا العرب واستحق فخرنا واعتزازنا الكبير به فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

ترك الاستاذ الدكتور مصطفى جواد اثارا ثقافية مختلفة في ميادين المعرفة التي احبها وافنى عمره فيها تقدر باكثر من ٤٦ اثرا نصفها مطبوع ونصفها الاخر مازال مخطوطا، فضلا عن المؤلفات المشتركة ومقالات ودراسات منشورة لم تجمع بعد، تشير كلها الى طول باعه وجليل علمه وحجة لغته وثبت تاريخه ومرجعية ما نشره وابدع او اجتهد فيه.

وقيم الدكتور غزوان هذا الجهد العلمي لأستاذه الفقيد بانه جهد علمي رصين يوضح بجلاء الدقة في استقراء الخبر وتثبيت الحقائق وايراد الرواية واثبات الوفيات وذكر التصانيف والتأكد من صحة الاخبار والانساب، توضيحا يظهر مصطفى جواد عالما ثبتا ومؤرخا اديبا امينا ومحققا صادقا في ضوء ما عثر عليه من ترجمات جديدة اهتدى اليها من خلال مطالعاته وتصفحاته البارعة والذكية فتكون لديه هذا البحث الذي نلحظ فيه اهتمام مصطفى جواد بالادباء وحب العلم والطلب مشغوفا باخبارهم متطلعا الى انبائهم واحوالهم ومصنفاتهم واقوالهم واشعارهم، كل ذلك بروح العالم المدقق والمحقق المنصف الامين..وفي تقديمه للكتاب المخطوط قبل ان يتولى الاستاذ غزوان تقديمه كتب الاستاذ مصطفى جواد صورة عن عمله ومصدرها، تعريفا وتقديرا وتوضيحا لعمله ودوره فيما قام فيه، مبيناً ان ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف ايضا بمعجم الادباء كان قد شرع في طبع ماوجده المستشرق المشهور (د.س مرغليوث) سنة ١٩٠٧ وهو يومئذ استاذ الادب العربي في جامعة اوكسفورد بانجلترا. وكان الطبع في مطبعة هندية بشارع المهدي بالازبكية من القاهرة. وقد اخرج الجزء الاول سنة ١٩٠٧ ايضا، ثم اخرج الجزء الثاني سنة ١٩١٠ وكان ناقصا. وفي بحثه فيه اكتشف نقصه وما لم يكمله المحقق او الناشر واضاف له ما هو اصح واقرب الى الحقيقة منه. وبيّن انه عثر عليه في مطالعاته وقراءاته الكثيرة والمتفحصة لكتب التراث واللغة واضاف له ما يكمله واحرى به حسب منهجه الذي ثبته في تقديمه: وقد فات ياقوتا ذكر فريق من الادباء، فمنهم من لم يطلع على تراجمهم، كما يدل عليه كتاب (بغية الوعاة) للسيوطي، ومنهم من لم يجدهم حريين بان يذكروا في معجمه مع انه نبه على ادبهم في معجم البلدان بحسب مواضع بلدانهم، فالمهملون استخمالا منه او غفلة منه عنهم ليسوا في عداد الذين عقدت هذا البحث في ذكرهم، وانما عقدته فيما ضاع من التراجم من معجم الادباء حسب، وعثرت عليه في مطالعاتي وتصفحاتي، واضفت اليه اشياء اخرى للافادة، وهو تراجم لـ (ست واربعين) علماً جديداً فاتت على ياقوت الحموي، الذي كان من اعظم الجغرافيين العرب المسلمين في عصره بين القرنين السادس والسابع للهجرة، في ذلك العصر الذي كادت فيه المادة العربية والاسلامية توشك ان تضيع في طوفان الفتن المتلاحقة والمصائب المتتابعة، وهو اديب موسوعي في ترجماته واسفاره آثر الاختصار والاعجاز في نهاية الاجاز على حد تعبيره في تأليفاته الموسوعية، والتي اضاف لها مصطفى جواد ما اعتبره ضائعا من معجم الادباء ارشاداً للأجيال الجديدة وحفاظاً على موروث ثمين لابد من التواصل معه واستمرار ما يغني الأمة ويتابع المهمة.

مستشــفى الأميــر عبد الاله للأمراض الصدرية (التويثة)

انشئ هذا المستشفى من قبل جمعية مكافحة السل التي تأسست في بغداد عام ١٩٤٤، وهي ثمرة من ثمار النشاط الخيري والانساني لمؤسسات المجتمع المدني يومذاك، اذ تمكنت هذه الجمعية من انشاء اول مستشفى متخصص بعلاج الامراض الصدرية في العراق، وجرى افتتاحه في اليوم الاول من شهر آب ١٩٥١ باحتفال رسمي حضره ولي عهد البلاد الامير عبد الاله الذي وافق على ان يطلق عليه اسمه فسمي باسم مستشفى الامير عبد الاله للامراض الصدرية، وبقي محتفظا بهذا الاسم حتى نهاية العهد الملكي، اذ اصبح يعرف بعدها باسم (مستشفى التويثة للامراض الصدرية).

وجاء انشاء هذا المستشفى نتيجة لحصول اعضاء الجمعية المذكورة انفا على منحة قدرها عشرة الاف دينار من يا نصيب انشاء المستشفيات، وما حصلت عليه الجمعية من تبرعات اهل الخير والجهات الحكومية فشيد المستشفى (المصح) على بقعة من الارض في منطقة التويثة باطراف بغداد عند ملتقى نهر ديالى بدجلة، كان قد تبرع به الوجيه عبد المنعم الخضيري، وقد وصفت جريدة الزمان بعددها الصادر بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٤٩ المستشفى عشية الانتهاء من الاعمال الانشائية فيه، ما نصه (انه غاية في تنظيمه واستيعابه جميع المرافق) وبالفعل فان هذا المستشفى عدّ في حينها احد الصروح المهمة في العراق في مجال الخدمات الصحية لما امتاز به من روعة التصميم ومطابقته للمواصفات العالمية لمصحات التدرن الرئوي ولما جهز به المستشفى من تجهيزات حديثة، فضلا عن وسائل الراحة والترفيه التي جهز بها من اجهزة تكييف وتبريد وانارة حديثة، ودار للسينما ومكتبة عامة واذاعة داخلية، وما الحق به من وحدات مهمة كمكتب للبريد ومركز للشرطة وجهاز لتنقية المياه ومعامل للغسيل والتعقيم ومولدة كهربائية وغير ذلك من مستلزمات المستشفيات المماثلة في العالم. وتحيط به حدائق جميلة وضعت بداخلها عدد من المصاطب والكراسي، جراء ايجار المستشفى بعد افتتاحه من قبل وزارة الصحة بدل ايجار سنوي مقداره خمسة الاف دينار، ووضع المستشفى تحت ادارة نخبة من أكفأ الاطباء العراقيين والاجانب، وترأس ادارة المستشفى عند افتتاحه أول مرة الدكتور محمد حسين سلمان، وتألفت هيئة المستشفى من عشرين طبيبا منهم ثلاثة اختصاصيين اجانب وصيدليان وثمان وعشرون مضمدة بما فيها الرئيسة وهي بريطانية الجنسية واخرى تشرف على صالة العمليات وهي المانية الجنسية ومئة وخمسين خادما.

تكون المستشفى من جناحين احدهما للرجال والاخر للنساء، وضم كل جناح عدداً من الردهات الواسعة وكل ردهة من الردهات احتوت على قاعة خاصة للتشميس وجناح للتمريض الخاص، فضلا عن غرف خاصة للاطباء والممرضات والمضمدين والمرافق الخدمية الاخرى، ونصف هذه الردهات خاصة بالنساء، وتوسطت الجناحين بناية واسعة احتوت على مختبرات وصالات للعمليات الجراحية ووحدات للاشعة الحديثة واقسام المخازن والمكتبة وغيرها. احتوى المستشفى عند افتتاحه ٢٣٠ سريرا الا انها اخذت بالتوسع عاما بعد عام نظرا لاقبال المرضى على العلاج فيه حتى وصلت الى ٦٦٧ سريرا عام ١٩٥٨.

كان ادخال المرضى للمستشفيات يتم عن طريق لجنة خاصة هي لجنة ادخال المرضى في مديرية مكافحة التدرن من خمسة اعضاء يترأسها مدير مكافحة التدرن وتكون عضويتها دورية بين اطباء المستشفيات الصدرية كل شهرين ويشترك معهما طبيبان اجنبيان كاستشاريين، وتجتمع اللجنة مرة واحدة كل اسبوع للنظر في الطلبات المقدمة لها وتختار منها المناسب حسب الاقدمية، وكانت اللجنة تعطي حق اسبقية الدخول لموظفي الحكومة من عسكريين ومدنيين وطلاب المدارس، ويكلف الحكومة هذا المستشفى (٤٠٠) الف دينار سنويا، وعلى هذا الاساس تكون نفقة المريض الواحد اكثر من دينارين يوميا.

لم يقتصر العلاج في المستشفى على المعالجة الطبية بالعقاقير، بل امتد ليشمل اجراء العمليات الجراحية المتخصصة لجراحة الصدر، وقد اجرى المستشفى (٢٣٣) عملية جراحية في الصدر عام ١٩٥٦.

كان من بين نزلاء المستشفى في تلك المرحلة العديد من الادباء والشعراء والفنانين والسياسيين، وقد اشترك هؤلاء في اصدار نشرة دورية تصدر كل ثلاثة اشهر باسم «رسالة مستشفى الامير عبد الاله»، وقد عني بطبعها واعداد مواد صفحاتها الاديب غائب طعمة فرمان، وصدر العدد الاول من النشرة في شهر تموز ١٩٥٢.

بدأ التدهور يدب بالمستشفى الذي كان يعد مفخرة من مفاخر العراق في المجال الصحي منذ عام ١٩٦٢، وفي عام ١٩٦٩ سعت وزارة الصحة لانشاء مجمع جديد على ارض مستشفى التويثة يضم مستشفى حديثاً بسعة ٤٠٠ سرير، كما يضم اقسام معهد التدرن والامراض الصدرية، وقد وافقت وزارة الصحة على ذلك وانجزت التصاميم الخاصة بالمشروع، غير ان ظروف الحرب العراقية الايرانية حالت دون المباشرة بالبناء.

ذكريات بغدادية

عبد الرزاق الدجيلي

في العشرينيات حتى الخمسينيات من القرن الماضي كان للبغداديين صور تراثية عدة من حياتهم تتمثل فيها بعض المعالم الرائعة نرويها للجيل القادم الذي لم يشهدها، وادركها اباؤنا وامهاتنا او مما ادركناه في الطفولة واليك عزيزي القاريء- نقدم اربعا وعشرين صورة تراثية كما رواها لي والدي- رحمه الله-

- ابو ابيض وبيض: كان يقف بعربته الكبيرة في ركن من اركان الطرف فيتحلق الشباب من حوله- وقد رتب ما لديه من بيض وطماطة وخيار وخضراوات ترتيبا انيقا يدل على حسن ذوقه.
- ابو بيض اللكلك: كان يبيع للصبيان اشكالا هرمية ومخروطية مصنوعة من روح السكر مرددا: بيض اللكلك على وطار وكر ابيت المختار
- ابو الفرارات: كان يبيع للصبيان ايضا المراوح الورقية الملونة بفلسين او اربعة فلوس.
- ابو البخور: كان يحمل مجموعة من البخور ويطوف بها في اسواق بغداد مرددا: الليلة جمعة والصلاة على النبي يطرد الشر والبخور عنبر مسك يا بخور ومن الجدير بالذكر ان انواع البخور هي: الهندي، والجاوي، وملايكة.
- ابو الهبيط: كان يجلس على قارعة الطريق وبين يديه" انجانة " من صفر قد غطاها بقطعة من القماش، واحتوت في داخلها كروشاً يقطعها بسكينة ويقدمها للناس مع رغيف من الخبز لقاء مبلغ زهيد.
- ام الطوشن: وهو التمر قبل ان يصير خلالا وتبيعه للناس بعض الفقيرات من العجائز.
- الجرخجي: وهو الحارس الليلي الذي كان يتسلم اجور حراسته من اصحاب الدور.
- الحجام: كان يؤدي دورا صحيا للناس بمشرطه ومحجمه. والحجامة هي عملية صحية يقوم صاحبها بوضع مجموعة من الاكواب على ظهر المريض، او الذي يشكو الما في اماكن محددة لاخراج الدم غير النقي من الجسم. وفيها قالوا: يتعلم الحجامة بروس اليتامة.
- الحفافة: تعد المستشارة، والناصحة، والخاطبة، والمؤتمنة على اسرار الناس، فضلا عن عملها في تخليص الوجه من الشعر عند المرأة وقد ضربوا مثلا في تقابل الاصناف اذ قالوا:" الحفافة تلوم النتافة " و" متعرف هم الحفافة الا النتافة ".
- الختمة: وهو حفل تخرج التلاميذ في الكتاتيب لختمهم القرآن الكريم واتقانهم آياته.
- خياط الفرفوري: كان يثقب بمثقب خاص به الادوات الخزفية، ويربط القطع المتكسرة من الصحون والاباريق ثم يلحمها بمادة النورة المخلوطة بصفار البيض.
- الدلال: كانت مهنته الاعلان عن بيع الدور والبساتين، والمناداة في الازقة عن الاطفال الضائعين.
- السقا: كان يحمل قربة الماء ويدور بها على البيوت ليملأ حباب الماء" مفردة حب " اذ قالت الامثال فيه:" كالولة للسقا رشها البغداد، غركها " و" دكة بدكة وان زدنا زاد السقا ".
- الكروان: وهو الدواب الذي يركب عليه المسافرون.
- كسار الخشب: كان يكسر الاخشاب الضخمة بساطوره وفاسه وفيه قالوا: كسار الخشب وين الطبروينه.
- اللالة: كان" دور المربي " جمع الاطفال واخذهم الى اماكن قريبة واطعامهم ثم اعادتهم الى ذويهم.
- اللمبجي: كان دوره تنظيف الفوانيس وتعبئتها بالنفط، وايقادها في الليل.
- الماشطة: وهي تقوم بتزيين العروس.
- المشعلجي: وهو القائم على اشعال النار في اتون الحمام.
- الملا: وهو الذي يعلم الصبيان قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة.
- الممجد: يقع التمجيد قبل اذان العشاء في يوم الخميس وقبل اذان الظهر في يوم الجمعة، فضلا عن الاعلان عن وفاة شخص.
- الرواس: كان يشوي رؤوس الغنم بالنار بعد طبخها بالقدر الكبير تمهيدا لتقديمها للناس.
- ابو الربابة: كان يعزف بربابته امام البيوت مرسلا من وترها الحانا حزينة وهو يستجدي الناس.- ابو العنبر ورد: كان يبيع" العلوجة الملونة " للصبيان مرددا: عنبر ورد.. عنبر ورد.. واخيرا، لايسعنا الا ان نقول: ان هذه الصور اختفت من الخارطة البغدادية. نأمل من وزارة الثقافة/دار الشؤون الثقافية تاليف كتاب يتضمن بحوثا ودراسات عن صور تراثية بغدادية ايام زمان يكتبها متخصصون في التراث والفلكلور العراقي ليتسنى لابناء العراق الجديد الاطلاع عليها.

الطبيخ البغدادي .. اصوله واشهر اكلاته

ستار البغدادي

المعروفُ ان المرأة اشتهرت بطبخ مختلف الاكلات التي يسيل لها اللعاب وانواع الشوربات جمع والمفردة (شوربة) مثل العدس والماش والطماطة وكذلك طبخ الامراق بانواعها التشريب ومرقة الباذنجان والبامية والفاصوليا اليابسة والخضرة والقرنابيط والاسبيناغ واللهانة والشجر ومرقة السمك والسمك المسكوف وهذا اشتهر به شارع ابي نواس. واشتهرت المرأة بعمل كبة الحامض والحلب والتمن الخ والكباب المقلي بـ(الدهن) وبمهارة تحسد عليها. والبغاددة قديماً كانوا يضربون المثل بجودة ومذاق (كبة السراي) وبطرشي حنانش وكباب الكاظمية. ومن الطبخات والاكلات التي يحبها ويتذوقها البغاددة الدولمة والمحشي طعام طيب يتخذ من اللحم المثروم والرز التمن مع خليط من البصل المفروم وشيء من البهارات تحشى الطماطة والباذنجان والخيار والبصل والشجر باللحم والخضر مع حفرها وتفريغ اللب من داخلها او تلف الدولمة احياناً بورق العنب او السلك حيث تعد هذه الاكلة من اطيب الاكلات. ومن الطريف ان هناك من اطلق على طبخة الباذنجان اسم وحش الطاوة والتمن الماشي اسم مذهب الكلب. وقد ورد الطعام في الامثال والاقوال البغدادية:

× اليثرد يدري واليا كل ما يدري.
× سلم البزون شحمة.
× ماغزر بعينه الخبز والملح.
× اكل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس.
× منا قوا لهم
× عزيمة الحصيني واللكلك.
× لسانه لحم وكلبه فحم.

اما المطاعم والاسواق في بغداد فقد اشتهرت بطبخ الباجة المؤلفة من الرأس والارجل والكراعين والكرشة واللسان.ومن اشهر من طبخ الباجة (ايام مضت) حسين طوبان في محلة السوامرة في كرخ بغداد وفي منطقة الشيخ عمر في رصافة بغداد (الحاتي) اما في الكاظمية فكان حمودي الباججي ومحله كان قريبا من مرقد الشريف الرضي.ومن الطباخين المشهورين احمد سمينة ومطعمه في سوق الساعجية القريب من المدرسة المستنصرية وقد تناول كاتب هذه السطور الطعام عنده مراراً وتكرارا فكان الذ واطيب طعام، لان جميع طبخات ابن سمينة لذيذة وطيبة وكما يقول البغاددة تكرط اصابيعك من وراه.ان طعام وطبخ ابن سمينة لا يضاهي ولا يجاري طبيخة جميعه له نكهة طيبة ويرجع هذا الى اللحم الهرفي والدهن الحر ثمة سبب اخر لطيب ونكهة طبيخ احمد سمينة هو طبخه على الخشب وبنار هادئة وجدور (قدور) الصفر التي لا تلهك الطعام (الطبيخ).ومن اقوال البغداديين (ان اشهر الاكلات الباجة الكرخية وكباب الكاظمية والكبة الموصلية).ومن الاكلات البغدادية الفلافل والابيض وبيض يبيعها الجوالة في الاسواق على الماشي وتتكون من الخبز سيد المائدة والابيض وبيض يوضع في الرغيف (الكرصة) مع الخضر والمخللات الطرشي والعنبة وعلى شكل لفة.ومن الاكلات الكص والكلباسطي وحمص بطحينة والمخلمة والمعلاك والتكة الخ...واقول ان المرأة هي حقاً تجيد الطبيخ بانواعه ولكن هناك رجال اشتهروا وتميزوا بطبخ الطعام وجودة ونكهة الاكلات وبمهارة: وهم جعفر العسكري والشيخ جلال الحنفي البغدادي وهادي الانصاري وصادق الازدي واخرون. هذا بعض ما جاء عن الطبيخ البغدادي..